الكتابة، بالجملة، عمل شاق، وهي حقيقة يدركها الكتّاب قبل غيرهم، والنص الأدبي، ثمرة حياة شاقة، عبرت طقوس وعذابات وغيوم وتوحدات ومكابدات تكمن في عمق النص بعد أن انبثقت من ذاكرته معارف وتكشفات وتجارب خاصة، وأمل وخيبات أمل، ومن هذا الكل المركب يبدأ التحدي: تحدي النقد وحيرة الناقد الذي عليه كشف ترميزات ومكونات مرئية وغير مرئية ومراجع بعيدة التاريخ والجغرافيا، وطفولات شقية بداية عمر مديد سيؤسس لنص معقد وغير سهل على الناقد كشف مغاليقه وأسراره ومراميه، من هذه النقطة، تحديداً، تبدأ كتابة من نوع آخر، ربما أكثر مشقة، هي كتابة الناقد لأنها كتابة على الكتابة.. إنها كتابة تشبه، إلى حد بعيد، مفتاحاً ذهبياً عليه أن يفتح مئات الأبواب المستغلقة والنوافذ المواربة والصناديق الغامضة، بينما هو لا يفتح إلا باباً، أو بابين، أو ثلاثاً... أو.

إسهامة في ملف (المدى) النقدي

النقد العراقي بين التنظير والنص.. حداثتهم لا تستجيب إلى تخلّفنا

عوّاد ناصر

حيرة الناقد الحائر تبدأ من سؤال: ماذا أنقد؟ عندما يفتح عينيه "على كثير ولا يرى أحداً".. في المشهد البشري المزدحم تغيّم الوجوه وتختلط الملامح.. يختلط الفرح بالفرح والضحك بالسعادة، وعليك أن تتبين الفرق بين الضحك والسعادة، والدموع تختلط، أيضاً، ثمة دموع التماسيح ودموع الثكالى وعليك، أيها الناقد، أن تبين "من بكى ممن تباكى".

هل بديهيات؟ نعم.

نحتاج للبديهيات، أحياناً، لاستعادة التأصيل.. التأصيل لا الأصوليات.

أحسب أن مهمة الناقد ليست أقل من مهمة الكاتب (عملاً عرضة للنقد) بل هي أكثر تركيباً من مهمة النص والناص، فمن اشتراطات الناقد معرفة ذوقية وتقنية أشمل من مهمة المنقود، فالشاعر، مثلاً، يقول كلمة ويمضي "ليزيد سعة الأرض"، وقد تتسع الأرض أو لا تسع، والناقد هنا هو من يقول لنا: هل ازداد الأرض سعة أم لا؟

تابعت ملف النقد العراقي الذي فتحته (المدى) مشكورة وهو ملف شائك يحتاج لأكثر من ملف وندوة، ذلك أن اضطراب الواقع الثقافي العراقي وفوضاه يمليان علينا، نحن المشتغلين في الكتابة، كتاباً ونقاداً، تفحص المشهد بروية واسترخاء ومسؤولية، لنحاول الوصول إلى ما ينبغي أن نصل إليه بشأن تبين الخيط الأبيض من الأسود، وقد تشربكت الشليلة ولم يعد ثمة غير الإبرة الضائعة وهي تبحث عن منفذ يتيح الرتق ولا تكتفي بالخيط الناصل، وقيل: "تكلتك أمك أي فتقٍ ترتق؟".

ما أقوله ليس أكثر من ملحوظات إسهاماً مني في ملف (المدى) الذي تحدث فيه أصدقاء لي وزملاء، منهم من أعرفهم شخصياً ومنهم لا أعرفهم إلا نصوصاً، وهم، في الحصيلة، جمع حصيف ومبدع تابعته عبر الصحافة الثقافية والفضل للشبكة العنكبوتية، وبعض كتبهم التي وصلتني إهداء مخصوصاً أو عبر وسيط صديق أو بالمصادفة. احتلت ثيمة التنظير في النقد مداخلات أصدقائي وزملائي الذين ذهب أحدهم إلى أهمية التنظير ليتكفل بأهمية النص، وذهب أحدهم إلى أن المدرسة الغربية في النقد هي حاضنة لحداثة غربية لا تستقيم مع ثقافتنا المتخلفة (لطفيّة الدليمي): "يكتب نقادنا عن الحداثة وما بعد الحداثة والمجتمع يتقهقر، بينما نما ونشأ النقد الغربي في أحضان مجتمع الحداثة والتطور وما كان ليتطور النقد لولا عصر التنوير وجهود الفلاسفة واللغويين أمثال سوسور وجاكوبسون وكانط وهيدجر وهيجل، بمعنى أن النقد الغربي الذي يستعين نقادنا بنظرياته نشأ في حاضنته الثقافية التي أسست للمجتمع المدني - إلى جوار نمو الفكر النقدي الذي يخضع كل شيء للنقد والتشكيك والتأويل بدءاً من السياسة إلى الاقتصاد، إلى الإبداع، وبهذا تطور النقد الغربي ووجد مساحة الحرية للتطبيق العملي في وسط متناغم يؤمن بالحوار وليس في مجتمع قائم على بنى تقليدية تتحكم فيها عقلية أحادية النظرة تقدم إجابات جاهزة عن كل شيء وتحتل عقل الإنسان وتلغي فاعليته".. تضع الدليمي يدها على مشكلة حقيقية جديرة بالبحث تتعلق بعقدة ثقافية تتحكم بقراءتنا لثقافة الغرب ونقده لنعيد إنتاجها تقليداً وادعاء ثقافياً وتناصاً نسخياً لا تفاعلياً، جدلياً، وقد أصابت في الذي ذهبت إليه، متحررة من تلك العقدة من دون أن تزدريها أو تتجاهلها، ونحن الذين نقيم منذ سنوات بعيدة في الغرب لا تفرض إقامتنا شرف التفوق على زملائنا في مسقط الرأس، إلا من حيث التفاصيل والإطلاع المباشر على الحياة الثقافية، وكيف تجري أمور النقد والمنقود، لأن العالم لم يعد جزراً معزولة فما نقرأه في الصحافة البريطانية، مثلاً، يقرأونه هم وإن لم يغادروا مسقط الرأس. إلا أن "الحاضنة" التي أشارت إليها الدليمي نكاد، نحن المقيمين في "الحاضنة" أن نلمسها في تفاصيل الحياة اليومية للناس حيث القراءة عادة والتعليم متطور وتراكم التاريخ المعرفي يقلل الفجوات كثيراً بين المثقف الغربي والمواطن المتعلم.

ثمرات الحضارة، تراكما وتغيرا، أملت حقائق الحداثة والتباساتها، هنا في الغرب، من دون انقطاعات حادة، وعنيفة، كالتي شهدناها في بلداننا المبتلاة بـ"الانقطاعات" وهذا ما أشرت له في قصيدة لي منها الجزء الذي يعني هذه الحال:

"وطني/ وطن السنبلةْ
كلما أوشكتْ أن تتطاول أبعد من قامة النبتِ
ثمّة من ينتظي منجلهْ".

أشرت في مقالات سابقة، لا أعرف من قرأها أو من لم يقرأها، إلى أن الحداثة معضلة في حياتنا الثقافية العربية ولم تكن حلاً معرفياً، بل هي فاقمت إشكالنا الثقافي لأنها عمقت غربتنا الثقافية عن العالم لأنها لغة مستعارة ومصطلح ملتبس وتاريخ لا يشبهنا. باختصار: هي تقليد. تناول الحداثة في أدبنا وفننا ونقدنا تطلعات شخصية في أحسن الأحوال، بل رغبات حتى وإن لم يكتب لها التحقق دائماً. لأنها استعارة لفظية: "ما الحكاية، هنا إلا شكل من أشكال الأدب، فهي توحي إلى جميع الشخصيات الستاندالية بمشاعر، وبشكل خاص برغبات، لا يمكن أن تنتابهم بصورة عفوية، فعندما يبدأ (جوليان) - بطل الأحمر والأسود - من كاتب السطور للتوضيح - عند عائلة رينال - العائلة الأرستقراطية - يستعير من اعترافات روسو الرغبة في تناول الطعام على مائدة أسياده لا مائدة الخدم. وينعت ستاندال كل أشكال (التقليد) و (المحاكاة) هذه بـ(الغرور)، فالمغرور لا يستطيع استخلاص الرغبة من أعماقه، بل يستعيرها من الآخرين، فهو، إذن، أخو دون كيخوته وإيما بوفاري"(×).

هل نحن أبناء ثقافة مغرورة؟

لأننا بلد الحضارات وصرنا بلد الخسارات، فلم نعد نمتلك غير الغرور.

وإذ يشير الروائي أحمد خلف إلى أن "التنظير يكشف عن أصالة الناقد وأحقيته أو يفضح هزال وضعف أفكاره التي قد يكون أغلبها مكتسباً أو أن الناقد يعيش على موائد الآخرين الدسمة، صحيح أن التنظير هو حالة من حالات تشوف جوهر النص وإدراك خفاياه وكشف المسكوت عنه أو الغامض والسري من النص، لكنه أيضاً يتبادل مع المعارف الأخرى نوع "كذا" من الموازنة المعرفية للاستفادة والاستثمار الطبيعي .. غير أننا وجدنا أن الناقد الذي يدير وجهه عن النصوص، يضيع الفرصة على متابعيه بمعرفة النص الجيد من النص عديم القيمة".

وأقول: إن التنظير "تفصيل" من النظرية، وأسأل: أي نظرية؟

كلّنا ننظّر. لكن الفرق الجوهري هو عن أي "نظرية" نصدر ونتجادل ونكتب؟

وهل ثمة ناقد عراقي كشف "المسكوت عنه" و"الغامض" و"السري من النص" في وقت كانت ثقافتنا، بعامتها، مسكوت عنها وسرية وغامضة منذ تأسيس دولتنا العراقية؟

أقول هذا وأنا أعرف، وزملائي يعرفون، أن القمع السياسي والثقافي في العراق وجه ثقافتنا وجهة غير ثقافية، بالمرة، وهل تنسون، مثلاً، ثقافة "القادسية"؟

بينما أشار الشاعر طالب عبد العزيز إلى التجاهل النقدي الذي واجهه المنجز العراقي "على الرغم من أن المنجز العراقي في الشعر والقصة والرواية ظل حبيس المكتبات الشخصية، ولم يُعاين بشكل جاد من قبل النقاد، إلا أنه بشهادة الكثيرين كان جديرا بالملاحظة والدرس"... "نطّلعُ - قرّاءَ ومتابعين - إلى نصوص في الشعر والقصة والرواية تستحق القراءة، ولا تخلو من الجدة والأهمية، نصوص كتبها أصحابها بعناية بالغة، لكنها ظلت تمر مرور الكرام على أقلام النقد العراقي". وهذا الكلام هو تفصيل آخر، أما الجوهر الذي أزعم أنه جدير بالتأشير النقدي فهو ثقافتنا برمتها، على أهمية التفصيلات التي أوردها أصدقائي وزملائي.

أقترح بحث ثقافتنا العراقية، لا أدبنا وفننا فقط، لعلنا نصل إلى مكونات شخصيتنا الاجتماعية التي هي هدف وغاية الأدب والفن، لأن ثقافتنا الاجتماعية تحتاج إلى معاينة جادة بدءاً من مطبخنا وليس انتهاء بفلسفتنا (إذا كان عندنا فلسفة!) وتلكم هي ثقافة أي بلد.. قبل أن نتداول أزمة النقد الأدبي، تفصيلاً ثقافياً.

(×) **الكذبة الرومانسية والحقيقة الروائية - رينيه جيرار، ت: د. رضوان عاشور - المنظمة العربية للترجمة.**

ليلنا وردٌ وغول

شعر: إبراهيم الخياط

إلى: مشتاق عبد الهادي
شهيدا

ليلنا وردٌ وغول
ليلنا
نام قبل نهاره،
وعاف الأحلام المتهرئة
تنام على مزهور الحصة
وركل الشرطة
وميس العرق الفلّ
أو العرق الفذ،
سيان الطعم الوطني،
في لاء القبول
ليلنا وردٌ وغول

×××

ليلنا نام على بعضه،
وعافنا
قيحا كامل الدسم
كي نتسرب بين أرصفة
رخيصة
تحاذي النهر الثريّ،
الثريّ بصمته
في ازدحامات الطبول
ليلنا وردٌ وغول

×××

ليلنا نام فوق قهره،
وعافته - مثلنا -
النساء الطيبات
اللواتي يدعن الشاي
يحترق على موقد
النص
ويخاصمن
العروج
صوب "خريسان"
الذي ينتظر
الباعة
والقاصة
والشعراء العاطلين
ليزيح عن قناطره
أحذية المغول
ليلنا وردٌ وغول

×××

ليلنا نام قرب لحده،
وارتأى أن يعوف الصبح
طلقا
يجيء أو لا يجيء،
فتلك ليست مسألة !!
وما عليك
أو عليك
أن ترسم الأمنية المنداة:
.كيف نجيء بالهلال
الأحمر،
أو الصليب الأحمر،
أو الغيب الأحمر،
إلى سرير "خريسان"،
ونحميه من فقر الماء،
وسجيل الذبول؟
أ "مشتاقُ"
وتفقهُ ما أقول،
بيننا وردٌ
وغول

وجهة نظر

وهمٌ عبقريٌ

ماجد موجد

**في معرض حديثه عن قصيدة قدمها له أحد الشعراء قال جان كوكتو: لم يعد يثير الدهشة، ذلك الساحر الذي يخرج لنا أرنباً من قبعته...
وكانت القصيدة التي قدمها ذلك الشاعر على شاكلة النصوص الشعرية التي تجاوزها الشعر الفرنسي في حينها، وفي حينها أيضا كان السحرة يفعلون العجب تحت سرادقات السيرك، كان كوكتو ينظر إلى الأدب ومجمل حقول الفن الأخرى التي أبدع هو فيها على أنها لا تعني شيئا إن لم يكُ فيها ما هو مختلف عما سبقها ..معروف أن رؤية كوكتو غدت بداهة وربما قبله أيضا، كونها تمثل درساً قاراً في تقييم أي جنس أدبي وفني..**

لكن ما الذي يحصل الآن؟ أعني هل أن ما يكتب من شعر اليوم قد نجا من معاييره التقليدية؟ بل ينبغي أن أصحح السؤال هكذا.. هل أن الشعر اليوم تمثل الواقع بما هو عليه؟ واقعنا الذي كل معطياته تكشف أن كلَّ سحر لم يعد ذا دهشة إزاء خفة تحولاته المثيرة حد الضحكِ والبكاء، لا أريد الإجابة بمعنى أن أسئلتي تنفي التجربة الشعرية المتداولة أو أن تقلل من قيمتها، لكن سأشير هنا بشكل عام إلى أولئك الذين ملأوا جزءا من حاضنة التاريخ وظلت أسماؤهم تفضح لنا باستمرار أن من يصنعون إبداعاً متميزاً ومدهشاً عددهم محدود.. في كل مرحلة زمنية يأتي التاريخ على ذكر عدد من الذوات في حقول المعرفة أو العلوم أو السياسة أو في أي حقل من حقول العمل والإنتاج الذي يتطلب التفكير والابتكار والإضافة ولكن هل حقاً أن التاريخ كان منصفاً في أن كل من شاع في مجلداته كان قد تجاوز كل ما هو سائد في زمانه؟ هل كان التاريخ حقاً قد عني فقط بكل ما هو مدهش ثم لفظ ما دون ذلك؟ ولو كان الأمر كذلك تُرى من سيحفظه لنا التاريخ من أولئك الذين ظهروا خلال الثلاثين سنة الماضية بنفس ذلك الثقل وتلك الأهمية التي ذكر بها ذوات إبداعية متميزة على مدى قرون من السنوات؟ هل حقاً أن شاعراً عراقياً ظهر خلال الثلاثين سنة الماضية ستكون له الحظوة بقيمة إبداعه المدهش والمبتكر لتحتضنه ذاكرة التاريخ بقوة وتفرد إلى مئة أو مئتي سنة قادمة ويكون مثالاً في عظمته ومقدرته الإبداعية مثل أولئك الذين صاروا لنا مثالاً ممن عكفوا على تعلم المعرفة وإنتاجها، ممن حفظهم التاريخ ولفظ ما دونهم من معاصريهم، ممن غدا معاصروهم عاجزين عن أن يبلغوا اهتمامنا؟ لست هنا أريد التنبؤ إن كان ثمة شعراء سيحصلون على عناية التاريخ خلال المدة التي ذكرتها آنفا، لكني أزعم أن ثمة إشكالاً سيقع فيه التاريخ وهو يحاول انتقاء من سيأخذهم برحلته، وذلك لعديد أسباب، منها أن هناك أعداداً كبيرة من الشعراء لم نحفل منهم بشيء سوى الضجيج الذي يغمط حقّ الأصوات الصافية والمميزة وهذا على خلاف ما كان قبل ألف عام أو مئتين أو حتى قبل خمسين عاماً ومن ثم فإن المناخ الثقافي القادم. وها هي بوادره اليوم. هو مناخ ثقافة مشاهدة، ثقافة تكنولوجيا ومعلومات، الوقت الأقل سيكون للقراءة الورقية الحالمة هذا ان بقي أي اثر للورق اصلاً، مما يعني ان تجربة شعرية يحلم مبدعها إن يلفت الانتباه إليها بعد خمسين عاماً سيكون أمراً صعباً، إن كان الآن هو يشعر بمرض اليأس مما يكتب ..هل فعلاً أن شاعراً اليوم له جمهور يقرأ كل ما يكتبه ويتابع جميع نشاطاته؟ وعلى اعتبار أن التاريخ عادة ما يصغي للجمهور وحجم الشيوع فأي شاعر هذا الذي هو كذلك مثلما كان يحدث قبل خمسين عاما مثلاً؟ لكي نزيد يأسنا قليلاً لنتذكر كيف كانت القبيلة العربية التي يظهر فيها شاعر تقيم الولائم وتصنع مجازر من الأبل والشياه ابتهاجاً وفخراً..! ما الذي تبقى من ذلك؟ ما من شيء إذاً سوى الوهم هذا الذي يتبختر في حانة اليأس وهو يحلم بمجد لا يجاريه فيه أحد.

لكن ما الذي يحصل الآن؟ أعني هل أن ما يكتب من شعر اليوم قد نجا من معاييره التقليدية؟ بل ينبغي أن أصحح السؤال هكذا.. هل أن الشعر اليوم تمثل الواقع بما هو عليه؟ واقعنا الذي كل معطياته تكشف أن كلَّ سحر لم يعد ذا دهشة إزاء خفة تحولاته المثيرة حد الضحكِ والبكاء، لا أريد الإجابة بمعنى أن أسئلتي تنفي التجربة الشعرية المتداولة أو أن تقلل من قيمتها، لكن سأشير هنا بشكل عام إلى أولئك الذين ملأوا جزءا من حاضنة التاريخ وظلت أسماؤهم تفضح لنا باستمرار أن من يصنعون إبداعاً متميزاً ومدهشاً عددهم محدود.. في كل مرحلة زمنية يأتي التاريخ

تعقيب

رشيد الخيّون يعتمر القبعة، فيضيء البقعة...

دنخا عبد الأحد

عندما نتصفح المقالات والأخبار ننجذب دائما إلى أخبار أو مقالات ربما فيها من الغرابة ما يدعونا الى أن نكتشفها حتى النهاية، وهذا الاكتشاف يصاحبه الشعور بالسعادة ولربما تكون مؤقتة، لأن دغدغة المشاعر من الناحية الايجابية تبعث على الفرح، وكيف لا والفرح قد فُقد منذ فترة.

وهذا ما شعرت به حين بدأت أقلب صفحات المدى، بتاريخ : الأربعاء ١٦-٠٥-٢٠١٢ عندما شدني العنوان "بالسَّلام وحده تزهو الجبال. قداس على سَفح جبل سفين" جذبني العَنوان وجذبني اسم الكاتب، فأسرعتُ لقرأته رويداً ومتأملاً، وأنا انتعش بالأمل، نعم الأمل المضمحل لمواطن مسيحي في بلاد بدا عليها طابع واحد، طابع العنف والاقتتال، طابع التأصل والتسلف، طابع إلغاء الآخر أو لربما إبادته إن وجد. قد يتساءل البعض، هل لمقالة في صفحة ما من الممكن أن يكون لها الفعل في إعطاء أمل قد فُقد؟ لربما نعم، لأننا نتشبث دائما بالضوء حتى وإن كان بقعة صغيرة، فنتتبعه على افتراض النهاية يكون المنفذ.

وخيّون فتح الثقب الصغير ليسلط بقعة ضوء (إذا صحّ التعبير)، على شعب أصيل عاش في هذه البلاد منذ ألعهود الغابرة، شعب يحمل ثقافة موغلة في القدم، إلا أن هذا الشعب اليوم يعاني أشد معاناته، من خلال الاضطهاد الذي يتعرض له وبطرق مباشرة أو غير مباشرة، وهذا الاضطهاد الذي بدا وكأنه ينتشر كالفيروس بين أروقة وأزقة بلادي، فتصير العنصرية والتأصلية شعاراً يُرفع بوجه كل مختلف يحاول أن يعيش في هذه البلاد، ويقدم لها من دلوه ما استطاع ثقافةً وعلماً ومحبةً، فبلادي تنام على أوتار الأصولية والتشدد، وتصحو على أوتار الاقتتال؛ وبين هذا وذاك يكون المختلف هو الضحية، والضحية بدأت تفقد الأمل لتضمحل بين أروقة الدول الغريبة، وتنصهر بين شعوب لم تعرفها، وثقافات لربما احترمتها أكثر من أهل بيتها فأعطتها الأرض الخصبة لتثمر في كل مكان، وبين كل الثقافات، نتاجات من دلوها تصبه في اسقية الثقافة والعلم.

أما بين شعبي وبلادي فصار من الصعب جداً أن أكون مختلفاً، وأن أعيش مختلفاً، أو أن أعبد مختلفاً، هناك من لم يعد يقبل بوجودي؛ بالرغم من ذلك هناك بعض من نقاط الضوء التي لربما تحملنا نحو مخرج مثالي، اسمه عراق الكل، عراق المواطنة، عراق يتعايش فيه الكل، بكل اختلافاتهم وخلافاتهم، عراق يحتاج أن ينظر إلى الرشيد ويتعلم منه ويرى عليَّ ويقتدي به، كيف عاملوا هؤلاء العظماء المختلفين عنهم، وكيف أعطوهم الاسقية الفارغة، ليدلوا فيها بدلوهم فأبدعوا في الثقافة ترجموا وكتبوا وأنتجوا. لربما إشارة "الخيّون" إلى عدة أمور كانت خير دليل على اطلاعه على بعض من شذرات تاريخ المسيحية في العراق، الذي يكاد لا يذكر ويكاد ينتفي، أتذكر عندما كنت صغيراً نتعلم التاريخ في بيوت التعليم الموجودة في العراق والمُصاغة بعقلية الحاكم ولربما عقلية أوسع من ذلك، فاليوم مؤيدوها هم كثر وهذه العقلية التي حذفت من تاريخ العراق في بيوت التعليم، القرون السبعة الأولى، ليكون التاريخ مبهما حتى سنة ٦٣٣م. اسمح لي يا "خيّون" العزيز بأن أفتح بعض من جروح مختلف عنك، ينزع لك القبعة، قبعة الاحترام، كونك أرجعت لي أملاً كان قد انتفى في داخلي، أمل يتحدث عن وجود أشخاص مثلك يحبون المختلف، ويتشبثون به ليبقى، وبما أنت زرت بعض الأماكن فشدتك لتكتب عنها، وأنا شدني مقالك الذي يوضح الآخر المختلف والغني بالثقافة يريد أن يعيش معكم، كمواطن لا أكثر.